١٩٩٩١١١٣-٠٠٠١٥-٢

المصدر : السفير التاريخ : Nov 13, 1999 اسم المؤلف : عيسى سامية .م

عن أم محسن التي فقدت »نعيمها« وسقطت في دوامة ال»مش عارفة«

NO CAPTION
Photos/1999/Nov1999/1942717318.JPEG

»النمش يغطي وجهه.. أستطيع ان اعد نقاط النمش حبة حبة.. يتراءى لي انني جالسة اليه اتحدث وهو مستريح بقربي من عناء الخطف حين يعود.. فأرى حبات نمش جديدة انتشرت على انفه وتحول لونها الى الغامق...«.

هكذا تتحدث ام محسن عن ابنها نعيم ذي »الستة عشر عاما وخمسة اشهر« الذي خطف منذ ما يماثل عمره من سنوات. وهي لا تزال تعيش في البيت نفسه الذي اختطف منه ابنها فجر الثامن عشر من ايلول العام 1982. حيث اقتيد مع العشرات من امثاله في شاحنات من منطقة صبرا: »كان الشارع »مشكوك شكا« بالناس من هنا حتى (منطقة) بئر حسن. وكانوا »كايشين« الشباب مثل الغنم.. ابني ليس فلسطينيا، بل لبناني من بيروت«. ثم تضيف بعد برهة: »يمكن لو كان إبني فلسطيني كان »حيّد« (ازاح) عن الدرب ولم يكن اليوم مخطوفا.. بحياته لم يحمل سلاحا او يدخل تنظيما«.

لم تكن ام محسن في المنزل ساعة خطف ابنها، ذلك انها كانت قد هربت وعائلتها الى »الطيبة« قريتها في الجنوب بعد اشتداد القصف في بيروت.

تستعيد تفاصيل ذاكرتها الموشومة: »غادرنا نعيم بعد انتشار القوات الدولية في بيروت بعدما استتب الامن فيها لمواصلة عمله في مصنع الاحذية. رافقه والده بعد اصراره على الذهاب من اجل تحصيل قوت اخوته الصغار«.

اختطف نعيم ووالده معا، لكن الوالد، اقتيد الى المدينة الرياضية حيث اطلقت عليه النيران وأصيب في حوضه ورقبته. لكنه بقي حيا ليعيش مأساة خطف ولده بلوعة سرعان ما تحولت الى سرطان خبيث قتله بعد سنوات من نجاته دون ابنه.

1999 1111-0001b-2

تتذكر ام محسن بغصة: »عاش بعده في البكاء. ينام ويصحو على ذكراه. وحين شيعناه من هذا الباب كان ذلك في اليوم نفسه الذي اختطف فيه نعيم لكن.. بفارق سنوات قليلة«.

تشعر ام محسن بقرارة نفسها ان ابنها ما زال حيا، اذ حين نسأل تقول: »ما راح اقدر جاوبك على سؤالك، لأنو كتير بيحرجني: بحس اني مش عارفة! طيب هيدا »المش عارفة« بتعرفي شو بيعمل فيي؟ شعور غريب ما بعرف اوصفه. شعور غريب جدا. خربوا حياتي وطيشروا ابني من الطريق ودمروا بيتي«.

الحرقة دفعت ام محسن للذهاب بعيدا في البحث عن ابنها، وتوصلت الى لقاء ضباط اسرائيليين في الشريط الحدودي المحتل »وعدوني ان يبذلوا كل ما في وسعهم وما فوق طاقتهم لايجاد ابني، لكن مجرد ان اصل بالكلام عن تاريخ خطفه ومكان الخطف يرمون الاوراق في وجهي ويقولون: لا شأن لنا بذلك.. اذهبي واسألي عن ابنك في بيروت عند من خطفه«.

في بيروت، لم تترك ام محسن بابا الا وطرقته.

لا تطلب ام محسن الاعدام لخاطف ابنها، بل ترغب في ان ينزلوا به اقصى العقوبة. و»الاقصى« عند ام محسن هي »الاقسى« اي »ان يوضع في مطرح على جبل عال تأتي اليه الطيور الكاسرة والوحوش تنهش في لحمه ويموت ببطء »كما اماتني«..

سبعة عشر عاما مضت على اختطاف نعيم لم يغب فيها عن خيال امه: »بكون كذابة لو قلتلك انو غاب. بحس فيه انا ونايمة وانا وقاعدة وانا عم آكل وانا عم صلي خربت حياتي كلها، الله يخرب حياة اللي خرب حياتي«. لا تقبل ام محسن ان تعلن الدولة وفاة ابنها: »اذا ارادوا ان يعلنوا وفاة ابني عليهم ان يقولوا لي اولا سبب خطفه؟ ومن خطفه؟ ولماذا خطفه؟ وماذا حصل لإبني، بعد ذلك ليعلنوا وفاته لو شاؤوا، »هذا اذا كان مات«، لكن، اذا لم يمت او هم ليسوا متأكدين من موته كيف يمكن ان يعلنوا وفاته؟ على اي اساس؟ لكن لو اجابوا على اسئلتنا لن يبقى زعيم بالبلد. هذا الكلام قد لا ينشر حتى ربعه او بالكاد يسمحوا بنشره. اجريت احاديث كثيرة مع صحافيين قبل ذلك ووعدوا ان ينشروا. كنا ننتظر ونشتري الجرائد لكن لا شيء، الموجودون على الساحة اليوم من نواب وزعماء ووزراء يتصرفون وكأن اياديهم نظيفة وطاهرة، لكنهم يفرضون رقابة على كل شيء، وانتم جريدة ماذا تستطيعون ان تفعلوا بوجه الرقابة.

لا يعني قانون العفو عن جرائم الحرب ام محسن، فهي لم تُسأل قبل اصداره ولم توافق عليه بالأساس: »من اعطاهم حق الإعفاء عن المجرمين ونحن ما زلنا نجهل مصير اولادنا، ليقولوا لنا لماذا؟ وكيف؟ ومن؟ ويعفوا ما شاء لهم ذلك، لكن كل مجرم يجب ان يلقى جزاءه ويحاكم.. كل المجرمين بدون اي استثناء، حين يحاكم المجرمون لن يكرر الجيل الجديد ما فعله الجيل الذي سبقه »اذا تركناهم هيك يعني كل ما صار عنا فوضى حرب كل اربع خمس سنين او خمس عشرة سنة.. ومنصدر قانون عفو ما بيضل هيك حدا بها البلد. بتحبل الأم وبتولد وبتربي وبتتعب وبلمحة عين بيجي ناس مش عارفين قرعة ابوهم مين بياخدولها ابنها وبيقتلوه«.

هل تعتقد ام محسن انهم قتلوا ابنها؟

قبل ان تجيب ام محسن، تصمت لتأخذ تنهيدة طويلة ثم: »عندي خمسة صبيان وبنتان ومع الذي خطف يصبحون ثمانية. حين أُسأل كم ولدا عندي؟ اجيب: ثمانية حتى الآن ارفض ان يقال لي الله يرحمه او المرحوم فلان. اذا تجرأ احد وقالها اغضب جدا منه«.

يقولون قلب الام دليلها... فلا تتركنا ام محسن نكمل طرح السؤال وتقاطعنا قائلة: »الأم بتحس. صحيح بحس ساعات كتيرة انو قاعد معي بالفرشة عم احكيلو عن السبع عشرة سنة اللي مرقوا او عن السنين اللي جايي. بحكيلوا شو مرق عليي بغيابه والحياة اللي عشتها بعد ما انخطف.. وين رحت وجيت.. وين ركضت وعند

19991111-0001c_2

مين برمت وانا افتش عليه. كتير عندي امل انو يرجع.. كتير كتير... بس لو بيحكوا!«.

اذ ذاك نذكرها ان ملف الحرب اغلق، فكيف تتوقع ان يتكلموا؟ تصرخ عند ذلك بغضب: »طيب مادامهم انهوا ملف الحرب ليش انتي عم ترجعي تحركيني«، نشرح لها اننا نحاول ان ندعم تحرك لجنة اهالي المخطوفين الاخير، فتبتهج لسماعها بكلمة »تحرك« ثم: »انا مريضة منذ وقت ولم اعد اتابع اعمال اللجنة منذ فترة. بعد هذا الحديث سأظل يومين مريضة، فكلما اجري حديثا عن هذا الموضوع اشعر كمن اجرى عملية جراحية اندمل الجرح ووقع عليه مجددا. كل مرة اتكلم انتظر ان يحصل شيء لكن لا.. لا شيء »بس احكي بحس حالي متل شجرة الجميز اللي بيهزوها ليحصلوا على الثمرة الطيبة، بس الجميزة كل ما هزيتها بتتقطع شروشها من تحت بس بيرجع ربك بحييها وبتكفي«...

»كل ما اتمناه ان اعرف ماذا حصل لابني.. تعبت وأريد ان اعيش«.

لم يبق لأم محسن اي صورة لابنها، اذ استنفذتها جميعا وهي توزعها هنا وهناك باحثة عنه »حتى الصورة الملصقة على اخراج القيد اخذوها مني«.

مذ خُطف نعيم سقطت ام محسن في ال»مش عارفة« وما تزال تعيش ولا تعيش.. تبكي ولا تبكي.. تتأمل ولا تتأمل.. تعرف ولا تعرف... تحس ولا تحس.. فهل من يعرف شيئا يرفعها من هوّتها العميقة؟

سامية م. عيسى